سادسا: العقل الإسلامي وفتح باب الاجتهاد:

لا شك أن الاجتهاد الفقهي بأوسع معانيه من أهم أولويات العقل الإسلامي في واقعنا المعاصر وهذا ما أشار إليه أحد الدارسين أو على حد قوله: وفي الاجتهاد الفقهي الذي يعمل فيه الإنسان عقله لاستنباط الأحكام والقواعد الشرعية ولابد من التميز بين النص الديني وفهم النص، فالنص في القرآن الكريم هو كلام ثابت إلهي ولذلك فإنه يمتاز بصفات رئيسة ثلاث:

أولا: القدسية المستمدة من الله القدوس.

ثانيًا: الإطلاقية، بمعنى أن المحدود من كلمات السور والآيات القرآنية يحمل اللا محدود من المعاني: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: 109].

ثالثًا: الديمومة، بمعنى أنه نص ثابت لا يتبدل ولا يتغير لأن مصدره هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أوحى به إلى رسوله محمد ﷺ.

وخلافًا لذلك فإن النص يتسم بصفات ثلاث مختلفة تمامًا:

أولًا: الإنسانية، بمعنى أنه فهم إنساني، وكل ما هو إنساني مفتوح على الصواب والخطأ، ولذلك فإنه فهم غير مقدس بخلاف النص المقدس.

ثانيًا: النسبية، بمعنى أن الفهم الإنساني للنص الإلهي المطلق المعرفة هو فهم نسبي للمعرفة يزيد وينقص بنسبة مستوى علم المجتهد في زمان معين وفي ظروف معينة بخلاف النص الذي شاء الله تعالى أن يكون صالحًا لكل زمان ومكان[1].

(1) محمد السماك، العقل والإيمان في الإسلام مجلة التسامح العدد (16) لسنة 2006م،=-

ويعتقد البعض أن نصوص القرآن والسنة متناهية. أما الأحداث فغير متناهية وبخاصة في العالم الإسلامي الذى تمتد دعوته إلى كل بيئة وتنمو في كل عصر. فلابد من وجود الاجتهاد لاستخلاص أحكام لم تقع في عصر التشريع، وهناك نصوص تعطي الحق في الاجتهاد لمن يقدر عليه بل تأمر به، كقوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: 2]. وقوله: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: 83].

سابعا: العقل في كل ميدان من ميادين حياتنا:

نأمل أن يسود العقل كل مجال من مجالات حياتنا سواء الدينية أو الدنيوية، وكما أشرنا آنفًا من خلال العناصر السابقة فالعقل ضرورة حضارية للنهوض بالأمة من كبوتها من شتى جوانبها المعرفية، كما أنه ضرورة للتجديد في فكرنا الإسلامي وخصوصًا في باب الاجتهاد في أمور الدين.

وما أحوجنا في حياتنا المعاصرة للتسلح بسلاح العقل، فالعقل كما يقول ديكارت.. هو أعدل الأشياء قسمة بين البشر، وعلى هذا الضوء يمكننا التجديد في الخطاب الديني في حياتنا المعاصرة.

إن الاجتهاد قد استمر بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، لمدرسة الصحابة وبخاصة الخلفاء الراشدين. وقد كان الواحد منهم يسأل، إن لم يكن عنده علم، هل ورد في كتاب الله حكم لهذا الحديث، فإن لم يرد؛ يسأل هل ورد عن الرسول ﷺ فيه شيء، فإن لم يرد اجتهد هو، إن لم يجد

= ص129، انظر دراستنا: في علم الكلام (منهج وتطبيقه)، الماشر مكتبة وهبة، القاهرة، ص108.